أدب الحوار في القصص القُرآنيّ
-سيّدنا إبراهيم أنموذجًا-

أ.م.د. عبد الغفور اغلام عبد الغفور السامرائي

تدريسي في كلية الامام الأعظم الجامعة

The Ethics of Dialogue in Quranic stories- The story of Prophet Ibrahim

(peace be upon him) as an Example.

الملخص

هدفت هذه الدراسة الى بيان ادب الحوار في القصص القرآني، من خلال قصص سيدنا إبراهيم عليه السلام، وتمّ استخدام المنهج التحليلي الاستنباطي، وذلك من خلال بيان مفهوم الحوار وأهميته وآدابه، ثمّ بيان أدب الحوار في قصص سيدنا إبراهيم مع ربّه عزّ وجل، ومع أبيه، ومع ابنه إسماعيل عليهما السلام ومع النمرود.وتوصّل الباحثُ الى عدد من النتائج أهمّها: أنّ القصص القرآني فيها الكثير من الدروس والعِبر التي يمكنُ تطبيقها في معاملاتنا اليومية مع من نتواصل معهم وأنّ أهميّة الأدب في الحوار تتجلّى في كونه يسعى إلى زرع التآلف والتعاون، بدلًا عن سوء الفهم والتعسّف والفرقةِ والصّراع.وأوصى الباحثُ بعددٍ من التوصياتِ أهمّها: إجراء دراسات اخرى في بيان أهمية أدب الحوار في القصص القرآني.**الكلمات المفتاحية:** إبراهيم عليه السلام، أدب الحوار، الحوار.

Abstract

This study deals with the Ethics of dialogue in Quranic stories by choosing the story of prophet Ibrahim (peace be upon him) as an Example. The analytical Deductive approach has been used in this study through illustrating the concept of dialogue, its importance and value. In addition to demonstrate the ethics of dialogue in the story of prophet Ibrahim with Allah Almighty, his father, and his son "Ismael" (peace be upon them) as well as with Nimrod.

The researcher has reached several conclusions of which the most important are that: The Quraanic stories including several lessons that we can apply in our daily dealings with people that we communicate with. And the importance of ethics in dialogue reflected in the fact that it is aimed at strengthening harmony and cooperation rather than misunderstanding, abuse, division, and conflict.

The researcher has also made a number of recommendations including executing further studies in order to know the importance of dialogue ethics in Quranic stories, which considered being the most important recommendation.

Key words: Prophet Ibrahim (peace be upon him), The Ethics of Dialogue, Dialogue

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأوّلين والآخرين سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.أما بعد:- فقد كرّم الله عز وجل بني آدم وحملهم في البر والبحر، ودعاهم للتفكر في آياته، وأرشدهم إلى طريق الهدى، وأرسل الرّسلَ والأنبياء ليدعوهم إلى دين الفطرة، وليهديهم سُبُل الرّشاد، وأرسل النور الخالد بالمعجزةِ الخالدة، دستورِ هذا الدين العظيم، وبيّن فيه وجوه السعادةِ لمن اتّبع، ووجوه الشقاءِ والخسرانِ لمن عنه انقطع، وتحدّى به الخلق أجمعين على أن يأتوا بآيةٍ مثلِهِ، فأوردَ القصص للعبرة والعِظَةِ بأسلوبٍ بديع، يدلُّ على عِظَمِ الكتاب الشفيع، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ {يوسف: ٣}، وما زال هذا الأسلوب موردًا عذبًا للوعظِ والتعليم.ونرى في كتب التفاسير إبداع المفسّرين عندَ عرضهم للقصص القرآني، وما تحويه من طُرُقٍ وأساليبَ تُوصِلُ الفكرةَ بسهولةٍ ويُسرٍ لم يكن لغير هذا الكتاب المعجز. ومن هذه الطرق والأساليب هو الحوار، والذي يهدف إلى إبراز الفكرة بعيدًا عن الجدل، ويكسبُ الحوار أهميّته من حيثُ كونُهُ وسيلةٌ للتآلف والتعاون، وقد ورد في القرآن الكريم العديد من القصص التي جاءت على شكلِ حوار.ومن المعروف أنّ البناء القصصي يعتبرُ من أفضلِ القوالبِ لعرض الأفكار، وهو يتكون من عناصر فنية؛ ليستكمل وظيفته مثل: الوصف والسرد وأسلوب القطع، والاسترجاع، والحوار، وتقنية الحذف، وتقنية الاستباق، وهي مؤثرات تجعل الحوار الدرامي أكثر وقعاً وتأثيراً في المتلقي.والرّكنُ الرئيسُ للحوار هو الأدبُ فيه، والذي يعطيه جاذبيةً كبيرةً في أذُنِ الطرف المحاوَر، ويكونُ قريبًا إلى نفسه، فعوامل نجاحِ أيّةِ دعوةٍ، هو الأسلوب الخطابي في التحاور واختيار الألفاظ المناسبة لذلك.

أسئلة الدراسة.

أجابت هذ الدراسة عن الأسئلة التالية:

السؤال الأول: ما أهمية الحوار وآدابه؟

السؤال الثاني: هل تضمّن القصصُ القرآنيُّ أدب الحوارِ في عرضه للموضوع؟

السؤال الثالث: كيف كان أدبُ سيّدنا إبراهيم عليه السلام في حواره مع ربّه عز وجل وأبيه وابنه ومع النمرود.

أهداف الدراسة.

هدفت هذه الدراسةُ إلى ما يأتي:

١. بيان أهميّة الحوار وآدابه.

٢. بيانُ أدب الحوار في موضوعات القصص القرآني.

٣. بيانُ أدبِ سيّدنا إبراهيم عليه السلام في حواره مع ربّه عز وجل وأبيه وابنه ومع النمرود.

أهميّة الدراسة.

تمكن أهمية الدراسةِ في كونها تناولت ركنًا من أركانِ تحقيق الحوار الهادف، وهو الأدب، من خلال قصص سيدنا إبراهيم عليه السلام وحواراته فيها، والذي هو أسلوبٌ من أساليب التعليم وإبراز الحقيقة، والوصولُ إلى هذه الحقيقة بالإقناع والمنطق، مع إرفاق الأدب في كلّ جزئيةٍ من جزئياته!

أسباب اختيار البحث.

إنّ أسباب اختيار هذا الموضوع كثيرة، منها:

١. الاهتمام بالقصص القرآني خاصّة في معالجة الواقع المعيش وتطبيقه، والاهتمام بالدراسات القرآنية عمومًا.

٢. افتقد الحوارُ في عصرنا الحالي إلى الأدب في عرض المسألة والمناقشة، وكذلك إلى الغاية منه، والذي هو إظهار الحق مع أيِّ طرفٍ كان.

٣. الإسلامُ دينٌ يدعو إلى الحوار والتفاهم، ومعالجة القضايا التي تجلب الضَّعفَ والتفرقةَ بين المسلمين خاصةً، وبين الأديان الأخرى عامّة.

٤. تزويد المكتبة الإسلامية عامّة ومكتبة التفسير خاصةَ بمثل هذه الدراسة لمعالجة قضية الأدب في الحوار، والذي أرجو أن ينفع الله به القارئ.

المبحث الأول
مفهوم الحوار وأهميته وآدابه

المطلب الأوّل: مفهوم الحوار

الفرع الأوّل: في اللغة.الْحور: مصدر حَار يَحُور حَورًا إذا رَجَعَ، وهو: الرجوعُ إلى الشيءِ وعنهُ أيضًا، والمُحاورةُ: مُراجَعة الكلام في المخاطبةِ. وأيضًا: المُجَاوبةُ، والتَّحَاورُ: التَّجاوبُ، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ {الكهف: ٣٧}، ويقال: كلَّمتُه فما أحارَ إليَّ جوابًا[١].

الفرع الثاني: في الاصطلاح.إنّ كلمة الحوار في اصطلاح الباحثين معانٍ عديدة، منها:

١. " تبادل الأفكار والآراء بين طرفين على نحوٍ منتظم وموضوعي على أساس الاحترام المتبادل بينهما"[٢].

٢. تبادل الأفكار والآراء حول قضية معينة تهدف عن طريقها إلى الوصول إلى الحقيقة، ويتبع في ذلك آدابًا معينة، ويتم بواسطة توافر شروط معينة[٣].

٣. وهو أيضًا: نوعٌ من الحديث بين شخصين يتم فيه تداول الكلام بطريقةٍ ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب[٤].

ويعرّفُ الباحثُ الحوارَ بأنّهُ: نوع من طرق التواصل بين طرفين أو أكثر له ميزات وأهداف تجعلهُ ذات أهميّةٍ كبيرةٍ للوصولِ إلى المُبتغى.

المطلب الثاني: أهميّة الحوار وآدابه.

الفرع الأوّل: أهميّة الحوار.إنّ الحوار من الأساليب البارزة التي استُعمِلَت في الكتاب العظيم، وقد تكررت كثيرًا فيه، ويمتازُ هذا الأسلوب باتساعِ أفقهِ ووضوحِ مسائله.وهي من الأساليب الحكيمة والبليغة التي استعملها القرآن الكريم في إقامةِ الأدلةِ على وحدانيّة الله تعالى، وعلى صدق الأنبياء

والرُّسُلِ فيما يُبلغون عن مُرسِلِهم في سبيل الوصول إلى الحق، عن اقتناعٍ عقليٍّ، وارتياحٍ نفسيّ، واطمئنانٍ وجدانيّ، يجعل صاحبه على ثباتٍ لا يُنازعُهُ رَيْب[٥]، حيث قال تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ {النحل: ١٢٥}.وتتجلّى أهميّة الحوار في كون استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب في إيراد القصص بشكلٍ يُعطي جاذبيّة للمستمع، حيث وردت كلمة "قال" قد تكررّت أكثر من خمسمئةٍ وعشرينَ مرّة في القرآن العظيم، وهي التي تدلُّ على المحاورةِ والمناقشة.وتأتي أهميّة الحوارِ في إبرازِ الحقِّ –وهو الأمرُ الأساس منه–، حيث قال الإمام الشافعيّ رحمه الله: " مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا قَطُّ عَلَى الْغَلَبَةِ وَوَدِدْتُ إِذَا نَاظَرْتُ أَحَدًا أَنْ يُظْهِرَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى يَدَيْهِ"[٦].كما أنّ للحوار أهميّةٌ عامةٌ تتمثّلُ في كونِهِ وسيلةً تهدفُ إلى عرضِ الفكرةِ من غيرِ تشدّدٍ وتعصّب، فهي محاولة للإقناع بالتي هي أحسن، فهو يسعى إلى زرع التآلف والتعاون، بدلًا عن سوء الفهم والتعسّف والفرقةِ والصّراع[٧].ولها أيضًا تأثيرٌ عاطفيٌّ كبير يُرى آثارُهُ على الإنسان؛ لما له من نفاذٍ إلى القلوب، وإصغاءٍ من الوجدان، وسيطرةٍ على المشاعر!

الفرع الثاني: آداب الحوار.

الأدبُ فضيلةٌ تنتجُ عنه الأقوال الحسنة والجميلة ذات الوقع في القلوب، والظلِّ في الدروب، وهو أساسٌ في الإسلامِ، وقد أكّد عليه في كلّ زمانٍ ومكان.والأدبُ في الحوارِ لهو أمرٌ عظيمٌ، فهو الرّكنُ الأساسُ فيه، فكما أنّ الإسلام قد وضع لكلّ فعلٍ أدبًا، فقد وضعَ للحوارِ آدابًا، وجملةُ هذه الآداب هي:

- **الحرصُ على الصّدق:** فالصّدقُ فضيلةٌ محمودةٌ في شريعة النور الخالد سيّدنا محمد صلى الله عليه والسلام.فلا يدعو الإنسانُ إلا إلى مبدإٍ لا يُصدّقُ فيه، ولا يستدلُّ بدليلٍ إلا يكون صادقًا فيه[٨]، حيث قال الصّادق الأمين صلى الله عليه وسلم: " دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ"[٩].ثمّ إنّ الصّادق مطلبُه رضى الله عز وجل، فمن أصلحَ سريرته فاح عبيرُ عمله، وقد قيل في الصّدق كثيرًا، فقد روى ابن حبّان عن الأعمشِ عن إبراهيم قَالَ: إنّ الرجُلَ ليتكلّمُ بالكلام ينوي فيه الخير فيلقي اللَّه في قلوب العباد حتى يقولوا مَا أراد بكلامه هذا إلا الخير. وإن الرجل ليتكلم بالكلام الشر لا ينوى فيه الخير فيلقى اللَّه في قلوب الناس حتى يقولوا مَا أراد بكلامه هذا إلا الشر[١٠].
- **حسنُ الاستماع:** فلابدَّ من إتقان فنِّ الاستماع، فهو لا يقلُّ أهميّة عن الحوار نفسه؛ لكونه من العوامل الأساسية لاستمرارية الحوار، فالاستماع الجيد إلى الآخرين ليس بالضرورة كسبُ التأثير الكامل عليهم لكنّه يزيد من أواصر المحبة والتقارب بين الناس[١١].والذي يعكسُ ذلك هو مقاطعة المحاور، فقد أطلق عليها ديل كارنيجي كلمة "الوصفة" لمن أراد أن ينفضّ الناس من حوله بقوله: "لا تعطِ أحدًا فرصةَ الحديث... تكلّم بغير انقطاع عن نفِك، وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدّث فلا تنتظر حتى يتمّ حديثه..... اقتحم الحديثَ واعترضه في منتصف كلامه"[١٢].

❖ **استعمال العبارات والجُمل المناسبة:** فالمحاور العاقلُ والفطنُ يُناقِشُ بتلطُّفٍ وأناةٍ وأدب، وفتح مغاليق النفوس بالعبارات اللطيفة، والمعاني العذبة التي تليّنُ القلوب(١٣).وجاء في حديث خير البشر صلى الله عليه وسلم ما يبيّن منزلة الكلمة الطيبة، فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»(١٤).فطلاقة اللسانِ مع كثرةِ الكلامِ تحتاجُ إلى عقلٍ واعٍ يُحدِّدُ مواقعَ الكلم، ومواطن اللفظِ، فيختارُ الحديث المناسب للمجالس المناسبة، وينتقي أطيب الكلام على قدرِ الرّجال، كما ينتقي العبارات الجميلة، وهذا دليلٌ على الشفافية وحُسنِ الانتقاء(١٥).

❖ **التزام المحاورِ بما يدعو إليه:** فقد ورد في القرآن الكريم على لسان نبي الله شُعيب عليه السلام أنّه قال:﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ ﴾{هود: ٨٨}، وروى ابن كثير عن الثوري في بيان هذه الآية، أنّه قال: أي: لا أنهاكم عن شيء وأخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم(١٦).وممّا يجعلُ الفكرةَ أكثر قبولًا أنْ يكون صاحبها مقتنعًا بها، وحريصًا على نشرها، ممثلًا لها بكل حركاته وسكناته، ومتقيّدًا بمُثُلها العُليا في كلِّ أوقاته، فلا يستطيعُ صاحب الفكرةِ أن يواجهَ المؤيدين والمعارضين إلا إذا كانت واضحة المعالم في ذهنه، عميقة الجذور في فؤاده(١٧).

المبحث الثاني

أدبُ الحوارِ في قَصَصِ سيِّدِنا إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ

المطلب الأوّل: أدب حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع ربّه عزّ وجلّ

قال تعالى في كتابه الخالد: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠ ﴾ البقرة: ٢٦٠.إنّ الناظر للآية للوهلة الأولى يظنُّ أنّ إبراهيم عليه السلام يشُكُّ في إيمانه، وفي بيان ذلك قال القرطبي: " اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي هَذَا السُّؤَالِ هَلْ صَدَرَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ شَكٍّ أَمْ لَا؟ فَقَالَ الْجُمْهُورُ: لَمْ يَكُنْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَاكًّا فِي إِحْيَاءِ اللَّهِ الْمَوْتَى قَطُّ "(١٨)، فقطع الشكّ في المسألة، ثمّ إنّ القرطبيَّ قد أورد أقوال الأئمة في نفي هذا الشك. وليس مَعرِضُ الكلامِ هنا عن الشكّ ونفيه، وإنّما عن أدب الحوار الذي جرى بين إبراهيمَ وربِّ العزة عزّ وجلّ.وفي بيان هذا الأدبِ يذكرُ التُستري عن سهلٍ أنّ هذا الطلب كان زيادة يقين إلى إيمانٍ كان معه، فسأل كشف غطاء العيان بعيني رأسه ليزداد بنور اليقين يقيناً في قدرة الله، وتمكيناً في خلقه، فلو كان شاكاً لم يكن ليُجيب بـــ«بلى»، ولو علم الله منه الشك وهو أخبر بـــ«بلى» وستر شكه لكشف الله تعالى ذلك، إذ كان مثله مما لا يخفى عليه، فصح أنْ طلب طمأنينته كان على معنى طلب الزيادة في يقينه(١٩).وقال القشيريُّ في بيان هذا الأدب في خطاب محبٍّ للحبيب: "وقيل استجلب خطابه بهذه المقالة إلى قوله سبحانه: «أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى» كنتُ أومن ولكنى اشتقت إلى قولك لي أو لم تؤمن، فإن بقولك لي «أَوَلَمْ تُؤْمِنْ» تطميناً لقلبي.

والمحبّ أبدًا يجتهد في أن يجد خطاب حبيبه على أي وجهٍ أمكَنَهُ"(٢٠).ثمّ يبيّنُ القشيريُّ أيضًا تلطّف سيدنا إبراهيم عليه السلام مع ربه عندما قارن حواره بحوار سيدنا عُزير، فقال: "ووصلٌ بين قصة الخليل صلّى الله عليه وسلّم فيما أراه وأظهره على يده من إحياء الموتى وبين عزير إذ أراه في نفسه؛ لأنّ الخليل يرجح على عزير في السؤال وفى الحال، فإنَّ إبراهيم –عليه السّلام– لم يردّ عليه في شيء ولكنّه تلطّف في السؤال"(٢١).إذن! فالحوار لابدَّ أنْ تُطرحَ فيه الأسئلة، والاستفهاماتٍ التي تزيدُ الأمر إيضاحًا، فقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾، قد زاد الأمر إيضاحًا وأزال الإبهام بالجواب بقوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾، وقال ابن حجر: " الْعِلْمَ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ "(٢٢).ففي هذا الحوارِ دليلٌ واضحٌ على ولايةِ الله تعالى للمؤمنين، وإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور، ويفتحُ أمامهم لكي يسألوا عمّا يريدون السؤال عنه(٢٣).

المطلب الثاني: أدب حوار سيّدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾﴾ {مريم: ٤١ – ٤٧}.وصف الله تعالى خليلَهُ إبراهيم عليه السلام بالصديق، وهي من أبنية المبالغة في اللغة العربية، فكان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب(٢٤)، والصدق عُرفُه في اللسان وهو مطّردٌ في الأفعال والخُلُق(٢٥)، فقد كان سيدُنا إبراهيم عليه السلام جامعًا لخصائص الأنبياء والصديقين عندما خاطب أباه بهذه المخاطبات التي وردت في الآيات الكريمات.وقد أبدَع الزمخشري في بيان الأدب هنا ووصفه، فقال: "انظر حين أراد أنْ ينصحَ أباهُ ويعظه فيما كان متورطًا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة: **كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن، منتصحًا في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا**"(٢٦).

وقد روى الطبراني بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ: يَا خَلِيلِي، حَسِّنْ خُلُقَكَ، وَلَوْ مَعَ الْكَافِرِ تَدْخُلُ مَدْخَلَ الْأَبْرَارِ، فَإِنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ أَنْ أُظِلَّهُ تَحْتَ عَرْشِي، وَأَنْ أَسْقِيَهُ مِنْ حَظِيرَةِ قُدْسِي، وَأَنْ أُدْنِيَهُ مِنْ جِوَارِي»(٢٧). وهذا الحديثُ فيه أمرٌ بحُسنِ الخلق حتى لو كان الطرف الآخر كافرًا بالله عز وجل! وكذا كانَ فِعلُ إبراهيم عليه السلام مع أبيه!فلم يغادر الخليل شيئا من الشفقة على أبيه، ولم ينفعه جميل وعظه، ولم تنجع فيه

كثرة نصحه فإنّ من أقصته سوابق التقدير لم تخلّصه لواحق التدبير[٢٨].فقد رتّب هذا الكلام في غاية الحسن مقرونا بالتلطف والرفق، فإن قوله في مقدمة كلامه يا أبتِ دليلٌ على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب[٢٩]. وقال النسفي في بيان عِظَمِ أدب خليل الرحمن في حواره مع أبيه ونصحه إياه: " فانظر في نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما أمر نفى الحديث* فطلب منه أولاً العلة في خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه"[٣٠]. ولقد سلك عليه السلام في دعوته أحسنَ منهاجٍ وأقوم سبيل واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدبٍ وخلقٍ جميل لئلا يركبَ متنَ المكابرة والعناد ولا يُنكّبَ بالكلية عن مَحَجّة الرشاد[٣١]، وذلك في قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ {مريم:٤٢}، فوصف لأبيه الأوثان التي يعبدها، وأوردَ على أبيه الدلائل والنصائح، وصدر كلا منها بالنداء المتضمن للرفق واللين استمالة لقلبه وامتثالا لأمر ربه[٣٢]، بأنّها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تغنى بشيء، وهذه الأوصاف قادحةٌ في الإلهية، وقد بيّن الإمام الرّازيُّ ذلك بقوله: "ووصف الْأَوْثَانَ بِصِفَاتٍ ثَلَاثَةٍ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا قَادِحَةٌ فِي الْإِلَهِيَّةِ"[٣٣]، ثمّ وضّح ذلك من وجوهٍ: أولها: العبادةَ غايةُ التعظيمِ فلَا يستحِقُّهَا إِلَّا من لهُ غايَةُ الإنعام، وثَانيها: أَنَّها إذا لم تسمَعْ ولمْ تبصرْ ولم تُمَيِّزْ من يُطِيعها عمَّن يعصيهَا فأيّ فائدةٍ فِي عبادتِهَا، وثَالثهَا: أَنَّ الدّعاءَ مخُّ العبادةِ فالوثنُ إِذَا لم يسمعْ دعاء الدّاعي فأيّ منفعةٍ في عبادته وإِذا كانتْ لا تبصرُ بِتقَرُّبِ مَنْ يقتربُ إِلَيها فأيّ منْفَعَةٍ في ذَلِكَ التَّقَرُّب[٣٤]. ثم كرّرَ دعوته إلى الحق بندائه الحنون، وكأنّه يريد استثارةَ حنان الأبوّة لدى أبيه، فقال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾ {مريم: ٤٣}. وهنا انتقل إلى دفع ما يخالج عقل أبيه من النفور عن تلقي الإرشاد من ابنه[٣٥].فثنى بدعوته إلى الحق مترفقًا به متلطفًا، فلمْ يُسَمِّ أباهُ بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفةً من العلم وشيئا منه ليس معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف، وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك، فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه[٣٦].ثمّ بيّن له أنّ الشَّيْطانَ المغوي المُضل عن طريق الحق قد كانَ من الأزل الى الأبد لِلرَّحْمنِ المفيض لأصناف الخيرات وانواع السعادات سيما الايمان والعرفان المنجى من أنواع الحرمان والخذلان عند لقاء الحنان المنان عَصِيًّا قد عصى هو بنفسه وانتظر لعصيان غيره وسعى بإضلاله وتسويلاته ليضل به عموم أهل الحق عن طريقه بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ {مريم: ٤٤-٤٥}.فثلّثَ بتثبيطِهِ ونَهْيِهِ عما كان عليه بأنّ الشيطان– الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده، وهو عدوّك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزى ونكال وعدوّ أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم– هو الذي ورّطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك، فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان، إلا أنّ إبراهيم عليه السلام

لإمعانه في الإخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره، ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم وذرّيته[٣٧].وإنما فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لأمور **أحدها:** لشدة تعلق قلبه بصلاحية أبيه وأداء حق الأبوة والرفق به، **وثانيها:** أن النبيّ الهادي إلى الحق لا بد أن يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه، **وثالثها:** النصح لكل أحد فالأب أولى[٣٨].فلم يخلُ ذلك من حسن الأدب، فإنّه لم يُصرِّحْ بأنّ العقاب لا حق له وأن العذاب لاصق به، ولكنّه قال: أخاف أنْ يمسّك عذابٌ، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب، وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه[٣٩].إلّا أنّ أباه آزر قد قابل ذلك كلّه بغليظ الكلام وقسوته، فقال: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ {مريم: ٤٦}.فالاستفهام هنا جاء بصيغة الإنكار، أي إنكارٌ لتجافي إبراهيم عن عبادة أصنامهم. فأضافَ الآلهة إلى ضمير نفسه، وهذه إضافة ولايةٍ وانتسابٍ إلى المضاف لقصد تشريف المضاف إليه. وقد جاء في جوابِهِ دعوَةَ ابنِهِ بمنتهى الجفاء والعنجهية بعكس ما في كلام إبراهيم من اللين والرقة، فدل ذلك على أنه كان قاسي القلب، بعيد الفهم، شديد التصلب في الكفر[٤٠].فقابل حجته بالتقليد، ولم يذكر في مقابلة حجته إلا قوله: أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم فأصرَّ على ادّعاء إلهيتها جهلًا وتقليدًا، وقابل وَعْظَهُ بالسّفاهَةِ حيث هدَّدَهُ بالضَّرْبِ والشتم، وقابل رفقه في قوله: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ بالعنف حيث لم يقل له يا بني بل قال: يا إبراهيم[٤١].وانظر إلى جوابِ إبراهيم عليه السلام حين قابل أبوه دعوتَهُ بالجفاءِ والسّفاهَةِ بعدَ أنْ أردَفَ تلك الدلالة بالوعظ البليغ، وأورد كل ذلك مقرونا باللطف والرفق، فقال تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ {مريم: ٤٧}. أعظِمْ به أدبًا بعد كلّ ما صدرَ من أبيه، فقد بدأ كلامه بأجملِ كلمةٍ تُقالُ على اللسان، وهي ﴿ سَلَٰمٌ ﴾. هكذا يكون الأدبُ في كسبِ القلوب ودعوةِ الناسِ إلى رسالةِ علّامِ الغيوب تبارك وتعالى.فقولَهُ ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ توديعٌ ومُتاركَةٌ على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة[٤٢]، فقابل جفوة أبيه بالبر تأدية لحق الأبوة وشكراً لسالف التربية[٤٣].ثمّ أتمّ أدبَهُ في حواره مع أبيه وودّعه بقوله: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾، فدلّ ذلكَ على أنهُ وإنْ بَعُدَ عنهُ فإنّ إشْفاقَه بَاقٍ عَليه كما كان[٤٤].فظلّ إبراهيمُ يستغفرُ لأبيهِ مدة طويلة، وبعد أنْ هاجر إلى الشام وبنى المسجد الحرام، وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق، عليهما السلام، فقال تعالى على لسان خليله: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ {إبراهيم: ٤١}[٤٥].ثمّ بيّن الخليلُ لُطفَ ربّه الكريم بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾. فأركَنَ نفسَه إلى الغنيّ المُغني، والضارّ النافع، العظيم المتعال، المجيب لعبده حين السؤال.وعندما لم يستمع الأبُ لنُصحِ ابنه وتذكيره إياه ووعظه له، قال: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ {مريم: ٤٨}.وهنا لطيفةٌ جميلةٌ في صيغة المضارعةِ في قوله ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ ﴾، فهي عطف على جملة سأستغفر لك ربي، إلّا أنّ الاستغفار يقع في المستقبل، أمّا اعتزالُه عليه السلام ففي نفس اللحظةِ، لأن المضارع غالب في الحال. فقد أظهر النبي الكريم أنّه لا يتوانى في اعتزالهم ولا يأسفُ له إذا كان في ذات الله تعالى[٤٦].إنّ استغفارَ خليلِ الرّحمن لأبيهِ كان من باب الأملِ في توبةِ أبيه من عبادة الأوثان، فكيف يخفى على الخليلِ عدم جوازِ الاستغفارِ لمشرك! وفي بيان ذلك قال الزمخشري: "فإن قلت كيف خفيَ على إبراهيمَ أنّ الاستغفارَ للكافرِ غيرُ جائزٍ حتى وَعَدَهُ؟ قلتُ: يجوز أنْ يظُنَّ أنَّهُ ما دامَ يُرْجَى مِنهُ الإيمانُ جازَ الاستغفار له، على أنّ امتناع جواز الاستغفار للكافر إنّما علم بالوحي؛ لأنّ العقل يجوّز أنْ يغفِرَ اللهُ للكافر"[٤٧].إنّ جمالية الأدبِ في هذه المحاورةِ قد وصلت إلى أسمى معانيها، فالمخاطِبُ هو من اتخذه العزيز المتعال خليلًا، وأفاضَ عليه من نعمه الظاهرة والباطنة ليفيضَ قلبُهُ حنانًا وعطفًا على كلِّ نفسٍ أبت واستكبرت – وهي في ضعفها – على الواحدِ الأحَدِ، فكيفَ إذا كان المُخاطبُ هو الأب، وهو في حالٍ قد استهوى عليه الشيطان، وأبعدهُ عن برِّ الأمان!

المطلب الثالث: أدبُ حوار سيّدنا إبراهيم مع ابنِهِ إسماعيل عليهما السّلام.

قال تعالى في كتابه المبين:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ {الصافات: ١٠٢}.بعدَ أنْ هجرَ إبراهيمُ قومَهُ، دعا ربّهُ أن يرزُقَه غلامًا ذا صلاحٍ وحِلْمٍ، فرزقه الله تعالى إسحاق وإسماعيل عليهما السلام، ومعرِضُ الكلامِ هنا عن سيّدنا إسماعيل عليه السلام. والحليمُ: من لا يعجل في الأمور، ويتحمل المشاق، ولا يضطرب عند إصابة المكروه، ولا يحركه الغضب بسهولة، ولقد جمع فيه ثلاث بشارات: بشارة أنه غلام، وأنه يبلغ أوان الحلم فإن الصبي لا يوصف بالحلم، وأنه يكون حليمًا[٤٨].واعلم أنّ الله عزّ وجلّ لما قال: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾ {الصافات: ١٠١}، أتبَعَهُ بما يدلُّ على حُصول ما بشر به وبلوغه فقال: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ ﴾. فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ للحوائج والمهمات المتعلقة لأمور المعاش وصار يذهب ويجئ مع ابنه في سائر الاشغال وكان أبوه ينتصر به في الأمور ويستظهر، وكان مشفقًا له عطوفًا عليه لا يفارقه، وهذا من كمال عطفه. ثم لما بالغ إبراهيم في عطف ولده وارتباط قلبه به –مع أنّه متمكن في مقام الخلة مع ربه– قد غار عليه سبحانه، فاختبر خلته حتى رأى في المنام بإلقاء الله في متخيلته أن الله يأمره بذبح ولده إظهارًا لكمال خلته واصطبار ولده على بلاء الله وإظهار حِلمِهِ عند المصيبة[٤٩].والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به، وأعطفهم عليه، وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله؛ لأنّه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده، وكان إذ ذاك ابنَ ثلاث عشرة سنة[٥٠].

وإنّما أعلمَ ابنَهُ بذلك ليكون أهْوَنَ عليهِ، وليختبِرَ صبرَهُ وجَلَدَهُ وعزمَه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه[٥١]، وناداهُ الخليلُ بقولِهِ: "يا بني" بصيغة التعطف والشفقة والتحبب، ذاكرًا له بالمضارعِ، الحالُ الذي رآه عليه ومصورًا له، لا لتكرار الرؤيا فإنّه غير محتاج إلى التكرار ولا إلى التروي، فإنَّ الله تعالى أراه ملكوت السماوات والأرض، وأكّدَ لما في طباع البشر من إحالة أنْ يُقال ذلك على حقيقته، وإعلامًا بأنّه منامُ وحيٍ لا أضغاثُ أحلام[٥٢].وهنا يظهر سرُّ دعاءِ خليل الرحمن حين دعا ربّه أنْ يرزُقَه من فيه الصلاحُ، فهي صفةُ الأنبياءِ ومن أعظم اللهُ أمرَهُ، فبشّره الكريم الرحمن بغلامٍ ذو صلاحٍ وحِلْمٍ تجلّى حِلمُهُ واعتصامهُ بالله، بقوله لأبيه: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.فبعد ما سمع الذبيحُ من الرُّؤيا ما سمع، قالَ معتصمًا بحبلِ التوفيق راضيًا بما جرى عليه من قضاء الله مستسلمًا نحوَهُ ومُقبلًا عليه منادًيا لأبيه لينبئ عن كمال أطاعته وانقياده لحكم ربه يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ به من قبل الحق فاذبحنى في سبيل الله تقربًا منك نحوه وطلبًا لمرضاته ولا تلتفت إلى لوازم الأبوة والنبوة وكن صابرًا لبلاء الله بذبح ولدك بيدك بإذنه سبحانه وفي سبيله[٥٣].

أرأيتَ سرّ دعاء الأنبياءِ ونتائج قبولها عند السميع العليم، وكيف سار هذا الحوار بعطفٍ وتحنُّنٍ وحِلم جمعت أبهى صور الأدب، فليس سهلًا على أي إنسانٍ أن يُبتلى ببلاءٍ كهذا، ولن تجدَ ابنًا يمتلكُ هذا الجواب... فما أعظم هذا السّر!

المطلب الرّابع: أدب حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود.

قال تعالى في مُحكم التنزيل: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ {البقرة: ٢٥٨}.الأدبُ في الحوارِ يكون أيضًا من خلال السيطرةِ على الموقف وعدم الخروج عن استعمال العبارات والجُمل المناسبة والتزامِ المحاورِ بما يدعو إليه، فسيِّدنا إبراهيم عليه السلام قد اختار أفضلَ الحُجج مع السيطرة على الحوار الذي قام بينه وبين أحد ملوك الدنيا، في سبيل بيانِ توحيد الرّبوبية، إذْ لا يَهمُّ منْ كان الطرف في الحوار لإثبات طريق الحق مادام المُؤيِّدُ هو العزيز الجبار!إنّ الذي حاجّ إبراهيم عليه السلام هو النمرودُ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة[٥٤]، وهو أول من تجبّر في الأرض وادّعى الربوبية[٥٥].استدلّ النبي الخليلُ في إثبات الربوبيّة للملك القدوس بأفعاله التي لا يُشاركُهُ فيها أحدٌ، فقال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾، قال الرازي في بيانِ سيطرةِ إبراهيم عليه السلام على الحوار واستعمالِهِ الجُمل المناسبة في ذلك: "دليلُ إبراهيم عليه السلام كان في غاية الصحة، وذلك لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بواسطة أفعاله التي لا يشاركه فيها أحدٌ من القادرين، والإحياء والإماتة كذلك، لأن الخلق

عاجزون عنهما"[٥٦].انظُر إلى الفعل الذي جابه به النمرودُ الخليلَ، وما فيه من دليلٍ على حُمقه، حيث قال: ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾، وفي تحقيق حمقِه فإنّه أتى برَجُلين يستحقّانِ القتلَ فأمَرَ بقتلِ أَحَدِهِما فيُقتل، وبالعفو عن الآخر فلا يُقتل. فذلك معنى الإحياء والإماتة عنده![٥٧]، فلم يستحي من معارضة الإحياء والإماتة اللتان تصدرانِ من الخالق العظيم بالقتل والتخلية!إلّا أنّ إبراهيم عليه السلام قد انتقل إلى حُجةٍ أخرى لا عجزًا عن نَصرِ حُجّتِهِ الأولَى فإنّها كانتْ لازمةً؛ لأنّه أرادَ بالإحياء إحياء الميت فكان لإبراهيم أنْ يقولَ لنمرود فأحيي منْ أمتَّ إنْ كُنتَ صادقًا، ولكن انتقل إلى حجة أخرى أوضحَ من الأولى لما رأى من قصور فهم نمرودَ وضَعْفِ رأيهِ فإنّه عارض الفعل بمثله ونسي[٥٨].فقال الخليل: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فلم يجد شيئا يدّعيه كما ادُّعِيَ في الأحياء والإماتة، فبهت حينئذ، وظهر عجزُهُ إذ لم يكن من جنس إطّلَاعِ الشمس وإغْرَابِها شيءٌ ممكن للملوك كما ادُّعي الإحياء والإماتة، ولم يمكنه أن يعكس ذلك، فقد كان أقر بالباري، وإنّما كان يدعي أنه يفعل فعله[٥٩].وهذا التنزيلُ على هذا المعنى أحسنُ مما ذكره كثير من المنطقيين: أنّ عدولَ إبراهيمَ عن المقامِ الأول إلى المقام الثاني انتقالٌ من دليلٍ إلى أوضحَ منه، ومنهم من قد يطلق عبارة رديّة. وليس كما قالوه! بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني ويبين بطلان ما ادعاه نمرود في الأول والثاني[٦٠].وإن قال قائلٌ لمَ لمْ يرجعِ النمرودُ إلى إبراهيم وبُهتْ؟ وكان يمكنهُ أنْ يقولَ لإبراهيم سَلْ أنتَ ربّكَ حتى يأتي بها من المغرب! فقد أجاب على ذلك الخازنُ في تفسيره بقوله: " إنّما لم يقله لأنه خاف أنه لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل إن الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة إظهارا للحجة عليه ومعجزة لإبراهيم صلّى الله عليه وسلّم وهو الصحيح"[٦١].أرأيتَ كيف يكون الحوارُ وكيف يكون المسيطرُ في كلامِه، الواثقُ من نفسه، الذي يوكِلُ أمرَهُ إلى مدبّر الأمورِ العزيز الغفور، فإنّ خليل الرّحمن لم يُعرِض عنه حين رأى سفه وحُمقَ النمرود عن إيراد حجة الإحياءِ والإماتةِ، وإنّما أركَنَ بنفسه إلى العليم الخبير، فأبهته اللهُ وزادَ في فضيحته. وأمّا انتقال الخليلِ من دليلٍ إلى دليل ليسَ انقطاعًا فذلك الكافِرُ ادّعى أنه قادرٌ على فعلِ ما يقدرُ عليه الباري، وفي ردّ من قال بالانقطاع قال الرّاغب الأصفهانيّ: "وهذا باب قد أحكمه أهل الجدل، على أن ذلك لو كان ابتداء حجة، لم يكن على شرط أهل النظر بمذموم فالحجج الجدول عليما ضربان: حجة يذكرها، ثم يتركها لظهور فسادها، وذلك مما لا يرتضيه أهل النظر وحجة يذكرها، فيقصر فهم سامعها عن إدراكها، أو يكثر مشاغبته فيها، فيعدل عنها إلى ما هو أوضح، إذ كان كل يتبين الحق وإزالة الشبهة، وهذا ليس بمذموم، "[٦٢].

الخاتمة

أوّلًا: النتائج

بعد إتمام هذه الدراسة مع كمالية وجمالية الأدب في حوار خليل الرّحمنِ إبراهيم عليه السلام، فقد تمّ التوصل إلى الآتي:

١. أنّ القصص القرآني فيها الكثير من الدروس والعِبر التي يمكنُ تطبيقها في معاملاتنا اليومية مع من نتواصل معهم.

٢. أنّ الأدب في الحوار أساسٌ لضمان استمراريته والوصول إلى الهدف الذي بُنيَ على أساسه الحوار، فهو من أهمّ الأركان فيه.

٣. تتجلّى أهمية الحوار في أنّ القرآن الكريم قد استخدم هذا الأسلوب في إيراد القصص بشكلٍ يُعطي جاذبيّة للمستمع.

٤. أهميّة الأدب في الحوار تتجلّى في كونها تسعى إلى زرع التآلف والتعاون، بدلًا عن سوء الفهم والتعسّف والفرقةِ والصّراع.

٥. أنّ سيّدنا إبراهيم عليه السلامُ علّمنا هذا الأدب في استعماله مع غير المسلمين، في سبيل كسب القلوب، فهو الحليم الذي بلغ كمال الأدب.

٦. يُرشدُنا أدب خليل الرحمن بإيرادِ أسلوب الحوارِ بغاية الحسن مقرونا بالتلطف والرفق، والحب، وسلوك أحسنِ منهاجٍ وأقوم سبيلٍ للوصول إلى القلوب، فالأدب يُخاطبُ القلوب أولًا حتى يكون رقيقًا ليستعدَّ لقبول الغاية من الحوار.

ثانيًا: التوصيات.

١. إجراء دراسات أخرى في بيان أهمية أدب الحوار في القصص القرآني.

٢. إجراءُ دراساتٍ تبيّن أهمية القصص القرآني وملامستها للواقع المعيش.

المصادر والمراجع

١. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد(د.ط). **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء** (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢. ابن حجر، أحمد بن علي (١٣٧٩م). **فتح الباري شرح صحيح البخاري** (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (١٩٨٤م). **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس.

٤. ابن عطية، عبد الحق بن غالب (١٤٢٢هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد)، ط١، ج٤، ص١٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء (١٩٧٩). **معجم مقاييس اللغة** (تحقيق: عبد السلام محمد

٦. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٩٩٩م). **تفسير القرآن العظيم** (تحقيق: سامي بن محمد سلامة)، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٧. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (د.ط)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار
٨. الأرمي، محمد الأمين بن عبد الله (٢٠٠١). **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ط١،
٩. البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٢٢هـ). **الجامع المسند الصحيح المختصر** (تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر)، ط١، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.
١٠. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (د.ط). **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار
١١. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (١٩٩٨). **الجامع الكبير** (تحقيق: بشار عواد معروف)، دار
١٢. التُستري، محمد سهل بن عبد الله (١٤٢٣هـ). **تفسير التستري** (تحقيق: محمد باسل عيون
١٣. الحسن، عبد الله (د.ط). **ربّانيّة التعليم**، دار المنطق، القاهرة، مصر.
١٤. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم (١٤١٥هـ). **لباب التأويل في معاني التنزيل** (تحقيق: محمد
١٥. الخوالدة، ناصر أحمد، وعيد، يحيى اسماعيل (٢٠٠١م). **طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها**
١٦. ديماس، محمد بن راشد (١٩٩٩م). **فنون الحوار والإقناع**، ط١، دار ابن حزم.
١٧. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (١٩٩٩). **مختار الصحاح** (تحقيق: يوسف الشيخ
١٨. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن (١٤٢٠هـ). **مفاتيح الغيب**، ط٣، دار إحياء التراث العربي،
١٩. الرّاغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (١٩٩٩). **تفسير الرّاغب الأصفهاني** (تحقيق: محمد عبد
٢٠. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (١٤٠٧هـ). **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، دار
٢١. زمزمي، يحيى بن محمد بن حسن (١٩٩٤). **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنّة**، ط١، دار التربية والتراث، ورمادي للنشر، مكة المكرمة، الدّمام، المملكة العربية السعودية.
٢٢. السمعاني: منصور بن محمد (١٩٩٧). **تفسير القرآن** (تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس)، ط١،
٢٣. سيد طنطاوي، محمد (١٩٩٧). **أدب الحوار في الإسلام**. دار نهضة مصر للطباعة والنشر
٢٤. شاهين، سيف الدين (١٩٩٢). **أدب الحوار في الإسلام**، ط١، دار الأفق، الرياض، المملكة
٢٥. الشثري، سعد بن ناصر (٢٠٠٦). **أدب الحوار**، ط١، كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية

٢٦. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (١٤١٤هـ). **فتح القدير**، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

٢٧. ضمرة، معن محمود عثمان (٢٠٠٥). **الحوار في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

٢٨. الطبراني، سليمان بن أحمد(د.ط). **المعجم الأوسط** (تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني)، ج٦، دار الحرمين، القاهرة، مصر.

٢٩. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (٢٠٠٠م). **جامع البيان في تأويل القرآن** (تحقيق: أحمد محمد شاكر)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٣٠. طنطاوي، محمد سيد (١٩٩٦م). **أدب الحوار في الإسلام**، دار نهضة مصر. مصر.

٣١. الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو (د.ط). **كتاب العين**

٣٢. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (١٩٦٤). **الجامع لأحكام القرآن** (تحقيق: أحمد البردوني.

٣٣. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (د.ط). **لطائف الإشارات** (تحقيق: إبراهيم البسيوني)، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

٣٤. القطب، سمير عبد الحميد (٢٠٠٠م). **فلسفة الحوار وتكوين المعلم العربي في مجتمع ما بعد العولمة**، المؤتمر العلمي السنوي الثامن، مستقبل التعليم والتدريب في الوطن العربي في عصر العولمات وثورة المعلومات، جامعة حلوان، حلوان، مصر.

٣٥. كارنيجي، ديل(د.ط). **كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس**، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان.

٣٦. اللبودي، منهى إبراهيم (٢٠٠٣). **الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه**، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

٣٧. النخجواني، نعمة الله بن محمود (١٩٩٩). **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، ط١، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر.

٣٨. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود (١٩٩٨م). **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (تحقيق: يوسف علي بديوي)، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان.

٣٩. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف(د.ط). **المجموع شرح المهذب**، دار الفكر، بيروت، لبنان.

هوامش البحث

(١) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو (د.ط). **كتاب العين** (تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي)، ج٣، ص٢٨٧، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان؛ وابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء (١٩٧٩). **معجم مقاييس اللغة** (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، ج٢، ص١١٦

وما بعدها، دار الفكر، بيروت، لبنان؛ والرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (١٩٩٩). **مختار الصحاح** (تحقيق: يوسف الشيخ محمد)، ط٥، ج١، ص٨٤،

(٢) . الخوالدة، ناصر أحمد، وعيد، يحيى اسماعيل (٢٠٠١م). **طرائق تدريس التربية الإسلامية واساليبها وتطبيقاتها العملية**، ص٣١٣، مكتبة الفلاح، عمّان، الأردن.

(٣) . القطب، سمير عبد الحميد (٢٠٠٠م). **فلسفة الحوار وتكوين المعلم العربي في مجتمع ما بعد العولمة**، المؤتمر العلمي السنوي الثامن، مستقبل التعليم والتدريب في الوطن العربي في عصر العولمات وثورة المعلومات، ص١٥، جامعة حلوان، حلوان.

(٤) . ينظر: ديماس، محمد بن راشد (١٩٩٩م). **فنون الحوار والإقناع**، ط١، ص١، دار ابن حزم.

(٥) ينظر: سيد طنطاوي، محمد (١٩٩٧). **أدب الحوار في الإسلام**. ص٣

(٦) النووي، محيي الدين يحيى بن شرف(د.ط). **المجموع شرح المهذب**، ج١، ص٢٨، دار الفكر،

(٧) ينظر: **الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه**، ط١، ص٢٠، مكتبة وهبة، القاهرة

(٨) ينظر: الشثري، سعد بن ناصر (٢٠٠٦). **أدب الحوار**، ط١، ص،

(٩) أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (١٩٩٨)، ج٤، ص٢٤٩، حديث رقم: ٢٥١٨

(١٠) **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء** (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد)، ص٢٨

(١١) ينظر: شاهين، سيف الدين (١٩٩٢). **أدب الحوار في الإسلام**، ط١، ص٩٣

(١٢) كارنيجي، ديل(د.ط). **كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس**، ص٩٧، دار الندوة الجديدة،

(١٣)**الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنّة**، ط١، ص٤٢٩،

(١٤)**الجامع المسند الصحيح المختصر** (تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر)، ط١، ج٨، ص١١،

(١٥) الحسن، عبد الله (د.ط). **ربّانيّة التعليم**، ص١٨، دار المنطق، القاهرة، مصر.

(١٦) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٩٩٩م). **تفسير القرآن العظيم** (تحقيق: سامي بن محمد سلامة)، ط٢، ج٤، ص٣٤٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(١٧)**الحوار في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، ص١٣٩.

(١٨) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (١٩٦٤). **الجامع لأحكام القرآن** (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، ط٢، ج٣، ص٢٩٧، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

(١٩) ينظر: التُستري، محمد سهل بن عبد الله (١٤٢٣هـ). **تفسير التستري** (تحقيق: محمد باسل عيون السود)، ط١، ص٣٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢٠) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (د.ط). **لطائف الإشارات** (تحقيق: إبراهيم البسيوني)، ط٣، ج١، ص٢٠١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

(٢١) ينظر: القشيري، **لطائف الإشارات**، مصدر سابق، ج١، ص٢٠١.

(٢٢)**فتح الباري شرح صحيح البخاري** (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، ج١، ص١٤٢، دار

(٢٣) طنطاوي، محمد سيد (١٩٩٦م). **أدب الحوار في الإسلام**، ص١٣٣، دار نهضة مصر. مصر.

(٢٤) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (٢٠٠٠م). **جامع البيان في تأويل القرآن** (تحقيق: أحمد محمد شاكر)، ج١٨، ص٢٠٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

(٢٥) ابن عطية، عبد الحق بن غالب (١٤٢٢هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد)، ط١، ج٤، ص١٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢٦)**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، ج٣، ص١٨ – ١٩

(٢٧) أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد(د.ط). **المعجم الأوسط** (تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني)، ج٦، ص٣١٥، حديث رقم: ٦٥٠٦.

(٢٨) القشيري، **لطائف الإشارات**، مصدر سابق، ج٢، ص٤٣٢.

* وهو الحديث الذ تقدّم تخريجه.

(٢٩)**لباب التأويل في معاني التنزيل** (تحقيق: محمد علي شاهين)، ط١، ج٣، ص١٨٩،

(٣٠)**مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (تحقيق: يوسف علي بديوي)، ط١، ج٢، ص٣٣٨

(٣١)**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٥، ص٢٦٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

(٣٢) ينظر: **فتح القدير**، ط١، ج٣، ص٣٩٦، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

(٣٣) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن (١٤٢٠هـ). **مفاتيح الغيب**، ط٣، ج٢١، ص٥٤٢

(٣٤) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، مصدر سابق، ج٢١، ص٥٤٣.

(٣٥) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (١٩٨٤م). **التحرير والتنوير**، ج١٦، ص١١٤،

(٣٦) الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج٣، ص١٩.

(٣٧) الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج٣، ص١٩ – ٢٠.

(٣٨) الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، مصدر سابق، ج٣، ص١٨٩.

(٣٩) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج٣، ص٢٠.

(٤٠) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج١٦، ص١١٨.

(٤١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، مصدر سابق، ج٢١، ص٥٤٥.

(٤٢) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، مصدر سابق، ج٦، ص٢٦٨.

(٤٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، مصدر سابق، ج١٨، ص٢٠٧

(٤٤) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، مصدر سابق، ج٢١، ص٥٤٦.

(٤٥) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مصدر سابق، ج٥، ص٢٣٦.

(٤٦) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج١٦، ص١٢٢.

(٤٧) الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج٢، ص٣١٥.

(٤٨) ينظر: **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ط١، ج٢٤، ص٢١٥،

(٤٩) ينظر: **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، ط١، ج٢،

(٥٠) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج٤، ص٥٣.

(٥١) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مصدر سابق، ج٧، ص٢٨.

(٥٢) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٦، ص٢٦٣، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.

(٥٣) ينظر: النخجواني، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية**، مصدر سابق، ج٢، ص٢١٩.

(٥٤) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج٣، ص٢٨٣.

(٥٥) ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**، مصدر سابق، ج١، ص٣٢٩.

(٥٦) الرازي، **مفاتيح الغيب**، مصدر سابق، ج٧، ص٢٢.

(٥٧) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مصدر سابق، ج١، ص٦٨٦.

(٥٨) ينظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص١٩٢.

(٥٩) ينظر: الرّاغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (١٩٩٩)..

(٦٠) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مصدر سابق، ج١، ص٦٨٦.

(٦١) الخازن، **لباب التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص١٩٣؛ وينظر: السمعاني: منصور بن محمد (١٩٩٧). **تفسير القرآن** (تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس)، ط١، ج١، ص٢٦٢،

(٦٢) الأصفهاني، **تفسير الرّاغب الأصفهاني**، مصدر سابق، ج١، ص٥٣٨ – ٥٣٩.